

## مفهوم الدولة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر

### أولاً : الدولة لغةً

اشتقت كلمت الدولة من الفعل "دال" أي تحول من موضعه ثم عاد إليه، ومضارعه "يدول"، والمصدر "دولا ودولة" وجمعها "دول"  
وللفظ الدولة في اللغة عدة معان هي:-

الأول : التحول والانتقال فالدولة : وبهذا المعنى جاءت في القرآن الكريم: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}. أي حتى لا يتعاقب عليه الأغنياء، فتأخذه هذه مرة وهذه مرة .  
الثاني : بمعنى "الملك".

الثالث : بمعنى "الغلبة" ((ويقال أدبل لنا على أعدائنا، أي :انصرنا عليهم، وكانت الدولة لنا أي الغلبة)).

إذن هناك ثلاثة معان للدولة، والظاهر أن المعنى الثاني يرجع إلى المعنى الثالث؛ فيتحصل أن الدولة هي الملك والسلطنة، وفي معناها الأول :التحول والانتقال .

وقد وردت كلمة "دولة" في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي - تقلب الأحوال من حال إلى حال - مرتين، إحداهما في صيغة "دولة"، بضم الدال، كما في قوله تعالى: { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}. والثانية في صيغة فعل مضارع "تداول" في معرض الحديث عن الحرب كما في قوله تعالى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}.

أما في الأحاديث الشريفة فقد وردت بما يحتمل المعنيين - السلطة و التحول - وبعضها ظاهر في المعنى اللغوي "التحول"، والآخر ظاهر بما يقرب من المعنى الاصطلاحي "الملك والسلطة"، ونذكر هنا بعض من هذه الأحاديث، إذ وردت في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر عامله في مصر، إذ قال: ((يا مالك" إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك)). وعنه (عليه السلام): ((الدولة كما تقبل تدبر)) وكذلك قوله: ((يستدل على إدبار الدول بأربع: تضييع الأصول، والتمسك بالفروع، وتقديم الأراذل، وتأخير الأفاضل)).

## ثانياً - مفهوم الدولة اصطلاحاً

سنقوم الآن بتتبع آراء المفكرين الإسلاميين في معنى الدولة وكيف يستعملون هذا المصطلح؟ فقد استعملوا هذا المصطلح ويريدون به أحد ثلاثة أمور:-

الأول: القوة التنفيذية، أي الحكومة، فيقال: قد صممت الدولة على كذا، أو قررت الدولة كذا، أو كفت الدولة يدها عن كذا، ويراد بها الحكومة.

الثاني: الأجهزة الحكومية الشاملة للقوى السياسية، والقضائية، والتنفيذية، والتشريعية وغيرها، وهذا الإطلاق اعم من الأول.

الثالث: يشمل الأمة أيضاً، وذلك كما يقال إن الدولة العراقية محددة بإيران وتركيا وسوريا مثلا، ويراد بها مجموعة السكان بحدودها الأرضية الخاصة، وهذا الإطلاق اعم من الاطلاقين المتقدمين.

وبالرغم من غياب المفهوم التركيبي للدولة في الفكر السياسي الإسلامي عموماً، غير أن جوهر الحكم والحدود الجغرافية والتنظيمات الإدارية قد عرفت ومورست بصورة أو بأخرى، ولربما ظهر مفهوم الدولة بأسماء مختلفة كالإمامة، والخلافة، والملك، والولاية، والسلطنة وغيرها، فالإطلاق القديم لفظ الدولة يراد به السلطة، فعندما يكون الحديث عن الدولة، كالدولة اليونانية أو الدولة الفارسية أو ٠٠٠ الخ، إنما يراد به الحديث عن السلطات والأسر الحاكمة، ولم تشذ الحقب الإسلامية المتعاقبة عن هذا الفهم للدولة، ذلك أن اصطلاح الدولة في الرؤية الإسلامية إنما يراد به "السلطة الحاكمة" وإطلاق اصطلاح السلطة إنما يراد به "الدولة السياسية".

والملاحظ أن مفردة "الحكومة" و"الدولة" دلت على معان متعددة في استعمالاتها القديمة والجديدة، فبعض منها كان مترادفاً، فيما اختلفت المعاني في بعض الموارد، فمثلاً أن الدولة في الاصطلاح الحديث لها، تعني: ((الاجتماع الإنساني الذي يعيش على ارض معينة ويمتلك حكومة ذات نوع من الحاكمة والسلطة التي تعملها في حق الأفراد)) وتتركب الدولة - طبقاً لهذا التعريف - من أربعة عناصر: السكان، الأرض، الحكومة والسيادة، وهذا معناه أن الحكومة لم ترادف الدولة هنا، وإنما كانت مجرد عنصر من عناصرها الأربعة .

فمفهوم الدولة تطور تاريخياً منذ نشأتها، وسيبقى يرتقي ويتطور في المجتمعات الحية الديناميكية، وهو اليوم اشمل من ذلك المفهوم الذي اعتمد مع نشوء الدولة، فالدولة في الفكر السياسي والاجتماعي الغربي الحديث - عكس غالبية الفكر العربي الذي يرادف بين الدولة

والسلطة وكأنهما شيء واحد - تختلف عن السلطة، فالسلطة هي القوة الحاكمة بينما الدولة اشمل فهي وعاء وإطار ممارسة السلطة، وينظر فريق إلى الدولة بوصفها "على الدوام" ظاهرة تاريخية وثقافية لا يمكن فهمها إلا في إطار ارتباطها بمجتمع معين .

أما في إطار تعريف الدولة فهناك عدد كبير جدا من التعاريف الموضوعة للدولة والتي تختلف حسب المنطلق الذي ينطلق منه من يعرفها، فعرفها الشيخ حسن البنا بأنها : ((شكل انتظام الأمة في سلطة، لها دستورها وشكل نظام للحكم خاص بها، والدستور هو القانون الأساس للدولة، وأمة الإسلام دستورها القرآن)) .

وكذلك تعريف السيد محمد باقر الصدر والذي يرى أنها: ((المظهر الأعلى للوحدة السياسية التي توجد بين جماعة من الناس، ولا بد أن تكون وحدتها انعكاسا لوحدة عامة قائمة بين الجماعة)). وعرفها الشيخ محمد مهدي شمس الدين بأنها: ((شعب - أو أمة - ينظم أمرهم حكم، ويخضعهم هذا الحكم جميعاً إلى أحكام قانونية واحدة لا تمايز فيها)) . وكذلك عرفها السيد محمد الشيرازي بأنها: (( أرقى التشكيلات لإدارة أمور جماعة كبيرة في مختلف شؤونها)) .

وبما إننا نتكلم عن الدولة في الفكر الإسلامي ينبغي أن نشير إلى معنى الدولة الإسلامية، فالدولة الإسلامية هي ((الدولة التي تقوم على أساس الإسلام وتستمد منه تشريعاتها)). وبهذا التعريف نستطيع التفريق بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول، سواء القائمة منها في البلدان الإسلامية، أم الأخرى القائمة في البلدان غير الإسلامية، فللدولة شخصية مبدئية وصفة عقيدية تكتسبها من القاعدة الفكرية التي تقوم عليها، وتستمد منها تشريعاتها، فالقاعدة الفكرية التي تقوم عليها الدولة هي التي تحدد هويتها واتجاهاتها في الحياة، وتمنحها التسمية والنوعية السياسية، فالدولة التي تقوم على أساس الإسلام، وتتخذة قاعدة فكرية، ومصدرا للتشريع والتقنين، ومنهجاً للسياسة والحكم، هي دولة إسلامية .